عودةُ مجتمعٍ قارئٍ ومُثقفٍ

إعداد

الدكتور/ محمد زين العابدين علي حنفي عميرة ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م
(الأستاذ المساعد بجامعتي القاهرة والطائف)
drzaien@yahoo.com

الكلماتُ المفتاحيةُ: واقع المجتمع العربي الراهن، التبعية، قارئ؟، مثقف؟، ما السُّبُلُ الى عودته؟.

مقدمةٌ:

ما من شكٍ في أن حضارة أية أُمَّة إنما تكون بقدر ما تبلغه من علوم ومعارف تستطيع بهما أن تبلغ ما تريد من مظاهر التقدم والرقي في هذه الحياة، كما يُمكِنها في الوقت نفسه أن تدفع عنها غوائل القهر والذل، أو ما قد يهددها من مظاهر ظلم الإنسان لأخيه الإنسان في هذا العصر.

ولحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى لكي يُدرك الإنسانُ حقيقة العلم وأهميته وأسبابه وأدواته: جعل أول آية تنزل في كتابه الحكيم على نبيه ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ تلك الآية التي تُعدُّ مفتاحَ الحياة كلها في هذا الكون الفسيح.. ألا وهي قوله تعالى:{اقرأْ باسمِ ربِّكَ الذي خلقَ، خلقَ الإنسانَ من علقٍ، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ، الذي علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لمْ يعْلَمْ}.(العلق، ١ - ٥)

ولعلنا هنا نلحظ مدى الحرص على هذه الوسيلة العظمى في التعرف على كل أسباب الحياة بشتى مظاهرها وظواهرها، وهي القراءة، حيثُ جاء الحث عليها والإغراء بها في صورة التأكيد أو التكرار للفظ {اقرأ} وما ذاك إلا لإدراك فضل القراءة، وأنها هي المدخل الوحيد الذي عن طريقه يمكن للإنسان أن يكتشف كل ما حوله من مظاهر الحياة والأحياء في هذا الكون الفسيح، بل من خلال اطلاع الإنسان ومعرفته عن طريق هذه القراءة يمكنه أن يعرف حقيقة ذاته، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}.(الذرايات، ٢١) كما يُدرك موقعه من بين سائر المخلوقات في هذه الحياة.. وأنه هو المخلوق الوحيد الذي ميزه الله عن سائر خلقه بالعلم والإدراك والبيان في قوله تعالى: {الرحمنُ، علَّمَ القرآنَ، خلقَ الإنسانَ علَّمَهُ البيانَ}.(الرحمن، ١ - ٤).(الكلمة/صلاح محمد عبد التواب/١٩٩٨)

وللقراءة أهمِّيَّةٌ في حياة الفرد والمجتمع فهي تُكسبهم الخبرات وتُنمي تفكيرهم، وتسهم في تكوين الإنسان وتعزز ثقته بذاته وتساعده على تنمية اللُّغة وتطوير العقل، وهي غذاء الروح وأساس تعلُّم المجتمع وتمكينه من الحصول على المعرفة والثقافة واكتساب المهارات المختلفة.

وبالرغم من هذه المُكتسبات والمميزات التي تنتجها القراءةُ إلا أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعاني من قلة القراءة وانخفاض معدلات الالتحاق بالمؤسسات التعليمية، حيث تُظهر مُعطيات منظمة التنمية البشرية الصادرة عن منظمة اليونسكو أن المواطن العربي

يقرأ أقل من كتاب واحد على الأكثر، فكل (٨٠) شخصًا يقرأون كتابًا واحدًا في العام، بالمقابل يقرأ المواطن الأوربي نحو (٣٥) كتابًا في العام الواحد.

وفي تقرير آخر لليونسكو كشف أن العرب مجتمعين من المحيط إلى الخليج يقرأون ربع صفحة في العام لكل فرد، مقارنة بالفرد الأمريكي الذي يقرأ (١١) كتابًا في العام، والبريطاني (٧) كُتبٍ.

أما تقريرُ التنمية الثقافية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي فقد ذكر أن الفرد العربي يقرأ بمعدل (٦) دقائق سنويًا، بينما يقرأ الأوربي بمعدل (٢٠٠) ساعة سنويًا.

ويشير التقرير إلى أن معدل قراءة الأطفال في العالم العربي خارج المناهج الدراسية (٦%) في العام، فيما يقرأ كل (٢٠) طفلًا عربيًا كتابًا واحدًا، بالمقابل فإن الطفل البريطاني يقرأ سبعة كُتبٍ في العام.(الحسينية/٢٠٢١)

وإذا ما بحثنا في واقع القراءة في العالم العربي، فسنجد أنّ وضعها في تدهور مستمر، حيث يتم في العالم العربي نشر (٦٥٠٠) كتاب في العام، مقارنةً بما يصل إلى مليون كتابٍ في الولايات المتحدة الأمريكية سنويًا، ويوجد في العالم العربي كتابٌ واحد مترجم إلى اللغة العربية لكل مليون عربي، كما يستهلك العرب ما نسبته (١%) فقط من كُتب العالم.(UNESCO/٢٠٢٢)

ولِسنواتٍ سيطرت عناوين من قَبيلِ (العرب لا يقرؤون)، وأن (معدل ما يقرأه الفرد العربي ٦ دقائق سنويًا)، ومسألة الانخراط في صوغ مقارنات بين متوسطات القراءة للأفراد حول العالم بناء على تقارير لها ظرفيتها (المنهجية/ الزمنية/ الثقافية) ظل كل ذلك بمثابة (جلد) للحالة القرائية في العالم العربي – التي لا نقول أنها في أفضل أحوالها – ولكنها في المقابل في تقديرنا ليست بالسوء الذي يتم تصويره. النسخة الأخيرة على سبيل المثال من مؤشر NOP World Culture Score Index تضع القارئ في مصر والسعودية ضمن أكثر (١٠) دول في معدلات ساعات قراءة الفرد في الأسبوع بواقع (٧:٣٠) ساعة أسبوعيًا للمصريين، و (٦:٤٨) ساعة أسبوعيًا للسعوديين، ومؤشر القراءة العربي عام (٢٠١٦) الصادر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي يكشف لنا أن معدل القراءة العربي يساوي (٣٥.٢٤) ساعة سنويًا للفرد، وأن متوسط عدد الكتب المقروءة سنويًا أكثر من (١٦) كتابًا في العام. هذا إذا ما سلَّمنا لمقاربة القياس الكمي. ولكن الحديث في الحالة القرائية في تقديري يجب أن ينظر

أيضًا إلى التجسدات التي تعكسها هذه القراءة، التردد على المكتبات القرائية التجارية مثالًا، الاقتباسات والنقاشات الافتراضية التي تجري حول الكتب، الأفراد الذين يتخصصون في القراءة لمدرسة معينة، أو كاتب معين ويستطيعون تحليل وربط ومقاربة أطروحاته بصورة نقدية، القفز الحر بين سياقات القراءة المحلية والعربية والقراءات الأجنبية والقدرة على الموازنة بينها، انعكاس مشهد القراءة على النتاج الكتابي وحالة الإصدارات، وتمثلات القراءة في الشخصية القارئة ذاتها في وعيها وحوارها وانخراطها في الشأن الداخلي والعمومي.

تلك أمثلة موجزة لتجسدات يمكن أن نلحظ مستوى التغير فيها من خلال المعاينة العامة للمجتمع المحيط عوضًا عن التكميم أو القياس الرقمي الذي قد يكون خاضعًا لعتبات كثيرة منها: طبيعة العينات، والمدى الزمني الذي تقاس فيه المؤشرات وتطور فيها الإحصاءات، ومدى القدرة على تطوير منهجيات قياس أثر القراءة، وطبيعة الإفصاح الذاتي عن القراءة، هذا إلى جانب مستوى الجدية في التعامل مع مثل هذه الاستقصاءات والاستطلاعات.

هذا لا ينفي بالضرورة الحاجة إلى القياس الكمي لمؤشرات الثقافة عمومًا شريطة إحكام المنهج وقياس التقاطعات بمعنى أنه كُلَّما كان هناك مؤشر قادر على أن يبين انعكاس الحالة القرائية وتكامُله مع أنشطة ثقافية أخرى كُلَّما كانت القدرةُ على فهم حالة وخارطة الثقافة أكثر دقة، وهي تمهد في الجانب الآخر لفهم الحالة الاجتماعية، وتشكل مدخلًا محوريًا لِتَقَصِّي التغيرات والتحولات التي تطرأ على المشهد الاجتماعي عمومًا وعلى أنماط الوعي والمشاركة وتحولات القناعات الاجتماعية، والاتجاهات الفكرية والمعرفية والثقافية السائدة بشكل دقيق، ولعلنا هنا نشير إلى تجربة المملكة العربية السعودية في استصدار تقرير (الحالة الثقافية) الذي يقدم نموذجًا منهجيًا يتعدى القياس الكمي إلى حالة تقصي الاتجاهات وأنماط مساهمة الأفراد في مشهد الثقافة الوطني وعلاقة ذلك بالتحولات في مشهد وسوق صناعة الثقافة العالمية من ناحية، ومستهدفات القطاع الثقافي في المملكة من ناحية أخرى.

في دراسة أجرتها جامعة بازل السويسرية لتتبع عادات ملايين القُرَّاء باستخدام منصة Wattpad. حيث تتم مشاركة أكثر من مائة ألفٍ قصة مكتوبة بأكثر من (٥٠) لغة يوميًا، حيث وجدوا أن هناك (٨٠) مليون من القراء والكُتاب على المنصة يخوضون في نقاشات وتعليقات معمقة بشكل يومي حول المواد والكتب والقصص والمقالات التي تُنشر على المنصة، ووجدت الدراسةُ أن الشباب "أكثر عرضة لمناقشة شعورهم تجاه النصوص. ومع ذلك، عند قراءة الكلاسيكيات، أصبح التفاعل الاجتماعي المعرفي هو الموضوع السائد".

وطرحت الدراسةُ فرضية "القراءة الاجتماعية" بديلًا عن "القراءة التحليلية". في إشارة إلى أن انخراط الأفراد في مجموعات/ منصات/ شبكات قرائية يحفزهم لإظهار رؤى تعاطفية مع ما يقرؤون والانسجام في محتوياته بشكل معمق. ويعنينا هنا القول أنه إذا كانت المراهنة على القراءة في أشكالها وأنماطها التقليدية، ومحاولة محاكمة المجتمعات بسياطها، فمن الطبيعي جدًا مع التحولات الراهنة أن تفصح المؤشرات عن إربَاك في الحالة القرائية، هناك قارئ النص، والقارئ الإلكتروني، والقارئ السياقي، والقارئ المتخصص في كاتبٍ معين، والقارئ الذي يعتمد مادة مرئية للعودة إلى مادة مكتوبة إن استدعته حاجة الفهم والتدقيق، كلها أنماط آخذة في حجز حيز لها في مشهد الحالة الثقافية، وعليه فإن الفهم الأوسع للحالة القرائية ليس في عزلها المباشر عن الحالة الثقافية، أو الحالة الاجتماعية، وإنما في محاولة فهمها ضمن سياق هاتين الحالتين، ومحاولة إيجاد الروابط المنهجية لفهم الطريقة التي تمارس بها المجتمعات أنماط ثقافتها وإنتاجها الثقافي وعلاقة ذلك بالتحولات التي تجري في محيط المجتمع وأوضاعه.(الحمداني/٢٠٢٢)

مشكلةُ الدراسة:

ثمَّة حقيقةٌ مؤلمةٌ يُمكن أن نواجهها على مستوى مجتمعنا عمومًا في مكانته المعاصرة، إنها حقيقة غياب الموضوعية الإنتاجية في كافة البُنى الاجتماعية والاقتصادية.. إلخ، وهذا الغياب يجعل من واقعنا عمومًا مجتمعًا استهلاكيًا، بل مفرطًا في الاستهلاكية، إلى حد الاختناق.. بحيث يجعل الفرد لدينا مُترهلًا في وجوده الاجتماعي والثقافي، مما يُغَيِّب الشخصية الواعية أو الشخصية القادرة على أن تُكَوِّن لنفسها وعيًا مصيريًا شاملًا. وهنا يصبح واقعنا بمجمله في مهب الريح، تعصب به رياحُ الآخر أنَّى شاءت، ولا حول لنا ولا قدرة غير ابتلاع المهدئات لامتصاص الصدمات، وأن نتحسر على ماضينا، وأن نفتخر بما كان. ونأكل ونشرب ونستهلك كل ما يُصَدَّر إلينا، وندَّعي أننا نعيش على ذمة التاريخ في الحضارة الحديثة، والغُزاةُ يتعاطفون مع الماشية أكثر مما يتعاطفون معنا. ما الذي ننتجه على مستويات السلع الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية والسياسية، والوعي الثقافي الإعلامي، والقضايا المصيرية المُتميزة؟!!

لا شيء من هذا كله. وفي الوقت نفسه نعيش تخمة استهلاك المضخة المتجسدة في كرة القدم، الشكولاته، واستهلاك المضخة المبتذلة في الأغنية الهابطة والافلام الإباحية المبتذلة، واستعراضات الجسد الأنثوي في القنوات الفضائية، ومضخة آخر ما أنتجته الموضة، وأحيانًا، وفي لحظات نادرة، استهلاك مضخة مصيرنا العربي المُشتت المتصارع المُستعمَر المُنتهَك بتوالي النكبات والحروب.

إن هناك غيابًا حقيقيًا للبرمجة التربوية الثقافية المنتِجة في المدرسة والجامعة، بل هناك محاربة للقراءة والكتاب الثقافي الجاد، في مقابل ترويج متعمد لكل ما يفقد شخصيتنا وهويتنا الثقافية ، لتصبح القراءة الجادة سلعة يُستهزأ بها، ولتصبح الثقافة الجادة قيمة غير حضارية، والكتاب الجيد عبئًا. ومن ثَمَّ نحتاج إلى قارئ مثقف منتج لإنتاج قيم إنسانية سليمة وصحيحة.(الكلمة/حسين المناصرة/١٩٩٨)
وتتحدد مشكلة الدراسة الراهنة في التسساؤلات البحثية التالية.

١- ما واقعُ المجتمعِ العربي الراهن قارئًا ومُثقفًا؟
٢- ما مفهومُ القراءة؟
٣- ما منزلةُ القراءة في القرآن؟
٤- ما أهميَّةُ القراءة والثقافة في نهضة الأمم؟
٥- ما أثرُ القراءةِ في نهضة الأُمَّةِ الإسلامية؟
٦- لماذا نحن مجتمع لا يقرأ ولا يتثقف؟
٧- ما السُّبُلُ إلى عودة مجتمعٍ قارئٍ ومُثقف؟
ويُمكنُ الإجابة عن تسَاؤلات الدراسة الراهنة على النحو التالي:

مفهومُ القراءة

أولًا- المعنى اللُغوي:

يقولُ ابنُ فارسٍ: [القاف والراء والحرف المعتل] أصلٌ صحيح يدل على جمع واجتماع، ومن ذلك: «القرية»، وسُميت بذلك؛ لاجتماع الناس فيها، والمقراة: الجفنة، سميت بذلك لاجتماع الضيف عليها.(ابن فارس)

من: قرأ يقرأ قراءةً، فهي مصدر للفعل: «قرأ»، واسم الفاعل: «قارئ»، تقول: قرأ فلانٌ قراءة حسنة، ورجل قراءٌ حسن القراءة من قوم قرائين، والمفعول مقروء، تقول: صحيفة مقروءة، وقارأه مقارأةً وقراءً: دارسه، واستقرأه طلب إليه أن يقرأ، والقراء يكون من القراءة جمع قارئٍ، وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه إياه أبلغه.(الجوهري وآخرون)
والأصل في القراءة: الجمع والضم، تقول: «قرأت الكتاب قراءةً»، ضممت حروفه بعضها إلى بعض، وكل شيءٍ جمعته فقد قرأته، و«قرأت الشيء قرآنًا»: جمعته وضممت بعضه إلى بعضٍ.(ابن منظور والزبيدي) ومنه سُمِّي القرآن قرآنًا؛ لأنه يضم القصص والأحكام، والآيات والسور بعضها إلى بعض.

ثانيًا- المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف معنى القراءة في الاصطلاح عن معناها في اللغة. وقد عرف الكفوي القراءةَ بقوله: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، ولا يقال ذلك لكل جمع بدليل أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوَّه به قراءة.(الكفوي/ص ٧٠٣)

ويقول ابن عاشور: "القراءة هي: تلاوة كلامٍ صدر في زمن سابق لوقت تلاوة تاليه، بمثل ما تكلم به متكلمه، سواء كان مكتوبًا في صحيفة، أم كان ملقنًا لتاليه بحيث لا يخالف أصله، ولو كان أصله كلام تاليه، ولذلك لا يقال لنقل كلام أنه قراءة إلا إذا كان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا".(ابن عاشور ٢٥٣/٣٠)

الأصلُ في القراءة أنها بمعنى الجمع والضم؛ وكل شيء جمعته فقد قرأته؛ فالقراءة جمع الحروف والكلمات، والقرآن يجمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض.(ابن منظور وآخرون)

وتوجد صلةٌ بين التلاوة والقراءة. فالتلاوةُ صورة من صور القراءة فهي إتباع الحروف والكلمات بعضها لبعض، وبينها وبين القراءة عموم وخصوص، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، وغلب استعمالها في قراءة القرآن خاصة.

يقول الراغب الأصفهاني :"والتلاوة تختص باتباع كُتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، فهي أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة".(الأصفهاني/ص ١٦٧)

منزلةُ القراءةِ في القرآن

جاء القرآن الكريم مُشيدًا بالقراءة مُناديًا بها في أول كلمة نزلت منه من السماء، ومستعملًا لاشتقاقاتها، مدللًا على منزلتها الرفيعة، ومكانتها السامية، يتبدى ذلك في النقاط الآتية:

أولًا- إسناد القراءة لله تعالى:

قال تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ} الأعلى:٦

هذا إخبار من الله لنبيه محمد ﷺ أنه سيعلمه هذا القرآن ويحفظه عليه، وسيقرئه بقراءة جبريل عليه السلام عليه، فلا ينسى منها إلا ما شاء الله أن ينساه مما نَسَخَ الله تلاوته من القرآن.

قال مجاهد: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه السلام لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فأنزل الله.(الطبري وآخران)

يقول القرطبي: "وهذه بشرى من الله تعالى، بشره بأن أعطاه آيةً بينةً، وهي أن يقرأ عليه جبريل عليه السلام ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه".(القرطبي ١٨/٢٠)

ويقول أبو السعود: "والسين في سَنُقْرِئُكَ إما للتأكيد، وإما لأن المراد: إقراء ما أوحى الله إليه حينئذٍ وما سيوحى إليه بعد ذلك، فهو وعدٌ كريم باستمرار الوحي أو سنجعلك قارئًا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلًا من قوة الحفظ والإتقان، مع أنك أُميٌّ لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آيةً أخرى لك".(أبو السعود)

ثانيًا- الأمر بالقراءة:

قال اللهُ تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ} العلق:١

إن أول أمرٍ أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ، وكلفه به، هو الأمر بالقراءة، فأول كلمة تلقها النبي ﷺ من أمين الوحي جبريل عليه السلام حينما لقيه في غار حراء هي: {اقْرَأْ}، بصيغةٍ تلفت النظر، وتجذب الانتباه، وتسترعي الاهتمام.

إن هذا الأمر ليوضح بجلاء أن مصدر القراءة في كافة مجالاتها الحِسية الآلية منها والمعنوية الكونية هو الوحي الرباني، والذي استوعب المعاش والمعاد، والدنيا والآخرة، والمبدأ والمنتهى.(سالم/ ص ١٦)

ومجيء الأمر بها أولًا فيه تنويهٌ بشأنها، ودعوةٌ إليها؛ لأنها شعار دين الإسلام.

يقول القرطبي: "نبه على فضل علم القراءة والكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا".(القرطبي ١٢٠/٢٠)

إن هذا الأمر بالقراءة لهو أمر تكليفي لابد من القيام به إما عينًا، وإما كفاية، ولا غرو في ذلك فالقراءة هي السبيل إلى المعرفة والعلم، وبناء العقل، والوصول بالإنسان إلى درجة التكريم والتفضيل.

فَخَصَّ اللهُ الإنسانَ بالقراءة دون سائر الحيوانات، وذلك لأن القراءة من لوازم العقل والإدراك، فتخصيص خلق الإنسان بالذكر دون سائر المخلوقات، ليدل على أن الإنسانَ هو المختص بالقراءة والعلم، المنفرد بتبعية التكليف، المخاطب بكل ما سوف ينزل به الوحي من كلمات الله.(بنت الشاطئ)

ثالثًا- القراءة تكريم للإنسان:

قال تعالى : {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥} العلق:٣-٥

لما كانت القراءة هي الطريق للعلم والرفعة؛ والذي يرفع الإنسان ويخرجه من جهله وأُميَّته التي خُلِق عليها؛ كان تخصيصه بالقراءة وأمره بها من أعظم النعم الموهوبه، والفضائل المهداة.

يقول الرازي: - مُبينًا الترابط بين الأمرين: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ} و {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} فيقول: "أولًا: وصف نفسه سبحانه بأنه خلق الإنسان من علق، وثانيًا: بأنه علمه بالقلم، ولا مناسبة في الظاهر بين الأمرين، لكن التحقيق أن أول أحوال الإنسان كونه علقة، وهي أخس الأشياء، وآخر أمره هو صيرورته عالمًا بحقائق الأشياء، وهو أشرف مراتب المخلوقات، فكأنه تعالى يقول :انتقلت من أخس المراتب إلى أعلى المراتب فلا بد لك من مدبر مقدر ينقلك من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة الشريفة، ثم فيه تنبيه على أن العلم

أشرف الصفات الإنسانية، فالأكرم هو الذي أعطاك العلم؛ لأن العلم هو النهاية في الشرف".(الرازي)

ويقول الزمخشري: "الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّمَ الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم".(الزمخشري)

فأهلُ القراءةِ هم أهلُ العلم والذكر الدائم والفهم الحي، والذي يجب على المسترشد أن يعرض عليهم شكه وتردده، وعدم علمه، بسؤالٍ يطلب فيه النفع، وليس التعنت، وبذلك يكون قد قطع الطريق الطويل الشاق في البحث عن المجهول.

أهميَّةُ القراءةِ والثقافة في نهضة الأمم:

كلمةُ اقرأ أول كلمة تهبط من السماء إلى الأرض، أول كلمة تنزل في أشرف كتاب سماوي، على قلب أعظم رسول إلهي. أول كلمة تتلقاها الأرض فتعيها أُذن واعية لِتُبَلِغِها إلى الناس قرآنًا تقرأه العصور. وليس عبثًا ولا مصادفة أن تكون القراءة هي الأمر الإلهي الأول الذي أوحته السماء إلى الإنسانية، يشير المفسرون إلى هذا المعنى، فيقررون أن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون هذه الأمَّة المسلمة قارئة، والقراءة هي باب العلم والثقافة. ولا يمكن أن يكون العلم والثقافة بمعناهما الشمولي بدون القراءة. فالأُمَّةُ التي لا تقرأ لا تعرف العلم، ولا يمكنها أن تتصل بأسبابه، ولا يُمكنها أن تبني حضارة، أو تستفيد من حضارات غيرها، بل الأُمَّة التي لا تقرأ تفتقد تاريخها، وتجهل حاضرها، وَتُمِتْ مستقبلها. الأُمَّةُ التي لا تقرأ تكاد تعيش الجهل بكل مقاييسه وتنتهي إلى الضياع بكل أبعاده وتصير في تبعية منْبُوذة مكروهة.

دخلَ العربُ كما دخل غيرهم في طور الحرف كتابة وقراءة وامتدَّ بهم الزمن حتى أوصلهم إلى عهد أراده الله أن يكون بداية الانطلاق نحو حياة أفضل، ومطلع انفتاح نحو عوالم أرحب؛ إنه عهد الرسالة المحمدية، التي غرست في المسلمين روح العلم، وأوجدت فيهم حب المعرفة، والنزوع إلى ما فيه كل خير للأُمَّة المسلمة، بل البشرية جمعاء. وارتبط المسلمون بقرآنهم الكريم، الذي وجدوا فيه الحافز الكبير على طلب العلم، واستقصاء سُبل المعرفة، وارتبطوا أيضًا بسُنَّتهم الشريفة التي بيَّنت وأوضحت ذلك. مما هيأ المسلمين نفسيًا وفكريًا حتى غدوا مقبلين على طلب العلم، واستقصاء سُبل المعرفة؛ فارتبطوا بالحرف قراءة وكتابة، وتأليفًا وترجمة، حتى بلغُوا في ذلك شأنًا عظيمًا في عهدهم الذهبي الذي انفتحوا فيه على معارف الأمم الأخرى، وثقافاتهم مثل الفرس واليونان والهنود وغيرهم.

لقد وصل بالعرب حب العلم حتى أخذوا يعطون وزن الكتاب ذهبًا. فهل كان بإمكان ذلك أن يحصل بدون قراءة؟.

إنها أُمَّة خُوطِبت بقول ربها: {اقرأ}، وَوَعت قول نبيها ﷺ: (الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالِم أو متعلِم).(رواه الترمذي) تلك أُمَّة قد استوعبت جيدًا اسم كتابها المقدس الذي أُشتُق من القراءة فسُمِّي (القرآن). وظلت الأُمَّةُ المسلمة، أُمَّةَ علم وأدب، وبنتْ حضارة باذخة، يُقَوِّمِها العلم، ويُهذبها الأدب، ويصقلها العمل الجاد.(الكلمة/محمد رضى الشماسي/١٩٩٨)

ويحثُّ علماءُ النفسِ على القراءة فهي تفتح أمام القارئ آفاقٍ من العلم والمعرفة وهي مفتاح الحضارة والثقافة والتقدم في البلدان، ونشرت الباحثة نتالي فيليبس من جامعة أوكسفورد تجارب علمية لدراسة عمل الدماغ الإنساني خلال عملية القراءة برهنت فيها أن القراءة الجادة تحفز العقل وتدفعه للعمل بنشاط وتركيز وتنظم التفكير، وتعمل على تطور الذكاء البشري، بالإضافة إلى فوائدها المعرفية والثقافية، وأثبتت الباحثة أن القراءة لا تقل فائدة عن التمارين الرياضية، لأنها (القراءة) تُمرِّن الدماغ بأسره، وأوضحت من خلال التجربة أنه عند الانتقال من القراءة السطحية لأجل تمضية الوقت إلى الاستيعاب النقدي للمعلومات، يجري في الدماغ تغيير حاد في نوع النشاط العصبي، وفي الدورة الدموية.(الحسينية/٢٠٢١)

والقراءةُ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجهود الدول الساعية نحو التقدم لترسيخ الاقتصاد المعرفي أساسًا للدخول إلى المستقبل والحفاظ على تقدم الدولة ورفاهية مواطنيها، فبدون القراءة لا يمكن أن ينشأ المواطن المثقف المبتكر الذي يستطيع تبني أسس الاقتصاد المعرفي وقيادة مسيرة التنمية المستدامة، وترسيخ ثقافة القراءة في المجتمع، وجعل المبادرات الهادفة إلى الارتقاء بالمستوى المعرفي والثقافي أولوية رئيسة في الأجندة السنوية للجهات الحكومية والخاصة."

وشهرُ القراءةِ ليس مناسبة مرتبطة بفترة زمنية معينة، بل هي احتفاء دائم بعادة حياتية من أهم العادات التي يجب أن تقوم عليها المجتمعات، فأهمية القراءة لا تحدد فقط بقدرة الشخص على اكتساب مهارات لغوية، بل تتعداها إلى بناء مهارات وعادات اجتماعية وشخصية وعقليات قادرة على النظر في الأمور بشكل موسع وتعزيز عادة التحليل والنقد البناء، إضافة إلى أنها تساهم في قدرة الشخص على استيعاب المتغيرات المتسارعة في عصرنا الحالي، وتؤثر في خياراته والحفاظ على هويته(.مبادرات/ نورة محمد الكعبي/٢٠٢٢)

ومن هنا يتطلب الأمر تعاهد القراءة، فتكرارُ المقروء وسيلة من وسائل حفظه، ورسوخه في العقل، وهو أسلوب من أساليب الفصاحة والبيان، فالكلام المكرر أوقع في النفوس، وأمتع للأذهان والعقول، وقد استخدمه القرآن وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم (الزركشي)، وأشار إلى أهميته فقال الله تعالى :{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ }فقد كرر الأمر بقوله: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ }؛ لأن القراءة لا تكسبها النفس إلا بالتكرار والتعود على ما جرت به العادة، وتكرار الأمر الإلهي يقوم مقام تكرار المقروء، وبذلك تصير القراءةُ ملكة.(المراغي)

ثمراتُ القراءة في كتاب الكون:

الكونُ كتابٌ مفتوح لكل قارئ له، فهو ميدان رحب للتفكر والتدبر فيما أودع الله فيه من آيات بينات، ودلائل واضحات، فإن الأرض والسماء، والبحار والجبال وما فيهما من مخلوقات عجيبة، وكائناتٍ حية، وما قامت عليه من نظام محكم دقيق؛ ليجعل المؤمن المتبصر يدرك صنع الله وقدرته وحكمته.

وقد أرشدَ اللهُ الخلقَ في كتابه إلى قراءة هذا الكتاب بعين العقل والفكر والوجدان، قال تعالى : يونس: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ }يونس١٠١

يقول ابن عاشور" :أي: فادعهم إلى النظر في دلائل الوحدانية والإرشاد إلى تحصيل أسباب الإيمان، ودفع غشاوات الكفر، وذلك بالإرشاد إلى النظر والاستدلال بما هو حول الإنسان من أحوال الموجودات، وتصاريفها الدالة على الوحدانية، مثل أجرام الكواكب، وتقادير مسيرها، وأحوال النور والظلمة والرياح والسحاب والمطر، وكذلك البحار والجبال".(ابن عاشور ٢٩٥/١١)

وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ) :**لقد نزلت علي الليلة آيةٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها** {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤ }البقرة: ١٦٤[.(ابن حبان)

فالقراءةُ في كتاب الكون المفتوح، وتتبع يد الله المبدعة، وهي تحرك هذا الكون، وتقلب صفحات هذا الكتاب هو عبادة لله من صميم العبادة.

فالكون ليس جامدًا ولا صامتًا، ولا أصمًا أبكمًا، ولكنه كتاب ناطق بالحجة والبرهان على وحدانية الله ﷻ.

ومن سُدت عيناه عن قراءة كتاب الكون، وكان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أشد عمى، وأضل سبيلا.

قال تعالى {وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٧٢ }الإسراء: ٧٢

أثرُ القراءةِ في نهضة الأُمَّةِ الإسلامية

إن القراءةَ من أهم وسائل اكتساب العلوم والمعارف المختلفة، والاستفادة من منجزات المتقدمين والمتـأخـرين وخبراتهم، فهي طريق التعلم والمعرفة، والحاجة لها لا تقل أهمية عن الحاجة إلى الطعام والشراب، فبالقراءة تحيا العقول، وتستنير الأفئدة، ويستقيم الفكر.

فهي من أعظم أسباب نهضة الأمة، وسمو مكانتها، وارتفاع شأنها لما يلي:

أولًا- تحصيل العلم الشرعي:

القراءةُ تُعدُّ وسيلة مهمة لتحصيل العلم الشرعي وإدراكه؛ من خلال تلاوة كتاب الله عز وجل وفهم معانية، والقراءة في سُنَّةِ النبي ﷺ ، شرحًا وتعليقًا، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة.

وقد أثنى الله على أهل العلم ورفع شأنهم وجعل لهم التكريم والتفضيل على سائر الخلق، قال تعالى :{قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ}الزمر: ٩.

يقول ابن جماعة: - مُعلقًا على قوله ﷺ) :**العلماء ورثة الأنبياء** – ("وحسبك هذه الدرجة مجدًا وفخرًا، وبهذه الرتبة شرفًا وذكرًا، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة، فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة".(ابن جماعة)

فالعلمُ والتعلُم سلم المجد، وباب الترقي والنهوض، ولو نظرنا إلى واقع الأمم الصاعدة والمتقدمة نجد أنها اعتمدت التعليم أساسًا لتقدمها الحضاري، فحرصت على إشاعة العلم وتيسير أسبابه، وجعلت مفتاح ذلك: التشجيع على القراءة، والتحريض عليها، وترويجها بين فئات المجتمع المختلفة.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤} (العلق: ٣ – ٤).

"وأن من كرمه الله تعالى: أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتازَ به أبو البرية آدم على الملائكة".(ابن كثير)

روى سعيد عن قتادة قال: "القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة، لما

فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا".(الطبري ١٢٠/٢٠)

ثانيًا- توسيع المدارك وتعزيز الملكة الفكرية:

القراءةُ وسيلةٌ لتوسيع المدارك والقدرات وتعزيز الملكة الفكرية؛ لأن المرءَ حينما يقرأ في علوم المقاصد وعلوم الوسائل، ويقرأ فيما أُلِّفَ قديمًا وما أُلِّفَ حديثًا؛ فإن ذلك مدعاة لتوسيع مداركه وإثراء عقليته، والاطلاع على الثقافات المختلفة والحضارات المتنوعة، والتجارب المتباينة، والتي يستفيد المرء من صوابها ويطلع على فضائلها، بل تفتح له بابًا في مجال الاجتهاد والتجديد، فباب الاجتهاد والتجديد إنما يتحرك انفتاحًا أو انغلاقًا بمقدار القراءة والاطلاع، فالقارئ الذي يتوغل بقراءته إلى أعماق التاريخ، ويجول ببصره في رحاب الواقع هو القادر على تقديم رؤى جديدة تستوعب الرؤى السالفة وتأخذ بأحسنها، ثم تضيف إليها.(سالم/ ص ١٦)

ولذلك نُقِلَ عن أعلام السلف - والذين كان لهم إسهام في نهضة الأمة - كثرة كتبهم وسعة اطلاعهم، فالحافظ ابن القيم الجوزية كان مغرمًا بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر، حتى كان أولاده يبيعون منها دهرًا طويلًا سوى ما اصطفوه لأنفسهم.(العسقلاني)

ونُقِلَ عن الجاحظ قوله: "ما وقع في يدي كتاب إلا وقرأته من أوله إلى آخره، أي كتاب كان".(البغدادي/ ص ١٣٩)

بل نُقِلَ شغفهم بالكتب واهتمامهم بها، يقول ابن المعتز في وصف الكتاب "الكتاب والج للأبواب، جريء على الحجاب، مفهمٌ لا يفهم، وناطق لا يتكلم، وبه يشخص المشتاق إذا أقعده الفراق، فأما القلم فمجهزٌ لجيوش الكلام، يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة، ويسكت واقفًا، وينطق سائرًا على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء".

ونقل الخطيب البغدادي عن محمد بن علي النحوي، قال :"ودع رجلٌ صديقًا له فقال له: استعن على وحشة الغُربة بقراءة الكتب، فإنها ألسنٌ ناطقة، وعيون رامقة".(البغدادي/ص ١٢٠)

وفي المقابل فإن الشعوب التي لا تملك بنية معرفية صحيحة، وسعة فكرية سليمة فإنها تنعت بالتخلف، وتصبح في ذيل الأمم معرفةً وصناعةً وسلوكًا، وما ذاك إلا نتيجة طبيعية لانحسار ممارسة القراءة والعناية بها، وتقدير العلم والتعلم.

ومن المؤسف أن ترى في العالم الإسلامي من يستحوذ على ناشئة المسلمين وشبابهم، بإشغال أفكارهم، واستمال قلوبهم بسيل جرار من وسائل الترفيه،

واللعب، مع ما يصحب ذلك من استحواذ الشاشات والفضائيات، وألعاب الكمبيوتر، والمحادثات الفارغة عبر وسائل التواصل كل ذلك على حساب الاستفادة من الوقت تعلمًا وقراءة، حتى صار الداعون للقراءة والمشتغلون بها غرباء في مجتمعهم.(النصار/ ص ٦)

ثالثًا- حفظ الوقت واستثماره:

القراءةُ وسيلةٌ لاستثمار الوقت وحفظه، فحفظ الوقت من أعظم النفائس، وأجل الذخائر، وهو من أسباب رقي الأمة ونهضتها.

يقول ابن القَيّم :"فالوقت منقض بذاته، منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، وعظم فواته، واشتدت حسراته".(الجوزية٣/٥٠)

ولقد ضربَ عظماءُ المسلمين ممن كانت لهم الريادة في رقي الأمة أروع الأمثلة في الاستفادة من الوقت في القراءة والتأليف، فقد نُقِلَ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله: "أثقل الساعات عليَّ: ساعة آكل فيها".(أبو غدة/ ص ٦٦)

لماذا نحن مجتمع لا يقرأ ولا يتثقف؟:

إن هذا أخطر سؤال ثقافي!! لأنه سؤال مصيري!! وجوابه ببساطة: نحن لا نقرأ لأننا لا نفكر، ولا نريد أن نفكر!! فالكتابة المبتذلة كتابة مقروءة في مجتمعنا.. وهنا ندرك الفرق بين توزيع الكتب الفضائحية والمجلات الرائجة، وكتابات الإثارة وبين توزيع كتاب ثقافي، أو نقدي، أو تاريخي، فمن النوع الأول قد نوزع ملايين النسخ، في حين لا نجد ما نوزعه من النوع الثاني على المئات. لماذا نحن لا نقرأ؟ لماذا نحن لا نفكر؟ لماذا نحن لا ننتج؟ لماذا نحن لا نُخطط؟ لماذا نستهلك كل ما ليس له جدوى؟ هذه الأسئلة وغيرها كلها مترادفة، وكلها تحتاج إلى إجابة!! هي: أن نبني هويتنا على أسس منهجية علمية وموضوعيةبعيدًا عن التبعية.

علينا مثلاً أن نقرأ تاريخ اليابان الحديث، لنتمثل شيئًا من هذا التاريخ بدل أن نُعلِّم في المدارس فوائد الاستعمار في بلادنا.. وعلينا أن نُخطط لخمسمائة عام قادمة كما تفعل الصين بدل أن نحتفل بتواريخ «داحس والغبراء».. وعلينا أن نَطْبَع عشرة ملايين نسخة شهريًا من كتاب ثقافي جاد ونوزعه بسعر مُناسِب، بدل أن تكون أسعار الكولا والشكولاته والهمبورغر مخفضة قبل أن تُشرب وتُؤكل لندفع التسعيرة مرتفعة نتيجة لأمراضها التي تحتاج إلى ميزانية خاصة.. وعلينا أن نَبُثَّ القراءة والكلمة من خلال التلفاز.. بدل أن نصرف المليارات في أغاني الفيديو كليب. وكأننا لسنا في زمن المصيبة!! إن مصيرنا الثقافي في طريقه من انهيار

إلى انهيار، بفعل غياب الكلمة الجادة المقروءة.. وغياب المؤسسات التربوية الموجهة لأجيال الأمة!!
كيف نبدأ هذه الإشكالية (إشكالية القراءة) وكيف ننتهي منها؟! إنها الجرح الذي لا يندمل لكن هناك وسائل كثيرة يمكن أن نعيد من خلالها ثقة الأجيال الجديدة بواقعها للنهوض به. وبدايةً يجب تكريس القراءة والكتابة كمنتج مؤثر وفعال عن طريق الحد من المجاري الاستهلاكية المبتذلة، والمتمثلة في أزمنة الرياضة اللاهية، وأزمنة العري في القنوات الفضائية الغثة وبرامجها المعوقة.

ويجب علينا أيضًا السعي الدائم إلى توزيع الكتب الثقافية والفكرية والأدبية بأسعار تشجيعية، وتعويد طلبة المدارس تحديدًا على ضرورة قراءة كتاب أو كتابين شهريًا وإدخالهما في سياق المناهج المفتوحة على الواقع والعلاقات أو المفروضة لبناء العلاقة مع الآخر. فالتربيةُ الوطنيةُ والثقافيةُ الجادةُ هي التي تُنتِج جيلًا مُنتِجًا واعيًا، جيلًا قادرًا على أن يقف في وجه الأعداء الذين يتربصون بنا من كل جانب، وبالتالي نستطيع أن نسقط - كوننا رقابة ثقافية - أيةَ فضائيات إباحية، أو مجلات هابطة تُوجَّه لاستعمارنا ثقافيًا وحضاريًا، الإستعمار الذي تجاوز إلى حدٍ كبيرٍ الإستعمار العسكري، خاصة وأن الأُمِّيَّة الثقافية أخطر بكثير من الأُمِّيَّة العسكرية، لأن الوعي الثقافي هو الأقدر على أن يعرفنا العدو من الصديق، وأن يجعلنا بالتالي نعرف كيف نبني قدراتنا الذاتية المصيرية لنتمكن من العيش بسلام وأمن في هذا العالم المليء بالذئاب!!(الكلمة/حسين المناصرة/١٩٩٨)

السُبُلُ إلى عودة مجتمعٍ قارئٍ ومُثقف:

هل هناك مجالٌ لليأس أو الاستسلام لكل هذه العوامل والدواعي بأن تطغى على نعمة القراءة؟ والجواب: إنني لا أعتقد أن هناك شيئًا ما في هذه الدنيا يمكن أن يصرف أو يقضي على هذه الوسيلة التي تُعدُّ بمثابة (الرئة) التي نتنفس بها ونتلقى من خلالها هذا الإكسير إكسير الحياة. إنها القراءةُ التي أعدَّت السابقين وهيأتهم وجعلتهم قادرين على بناء الحياة. والحق يقال إن أبناء جيلنا الحاضر جديرون بأن يلحقوا بركب العلم والحضارة.

ولا شك أن أبناء جيلنا الحاضر تتوافر لديهم من وسائل العلم وأسبابه وعلى رأسها القراءة ما لم يتوافر للأجيال السابقة، فالكتب وما أكثرها تدعو قُرَّاءها ليتزودوا منها بكل ما هو مفيد وبنّاء، ولا بد من مزيد من العناية (والتفرّغ) الذي يُعطى لهذه القراءة حقها بما يستوجبه قدرها.

وتتحدد سُبُل عودة مجتمعٍ قارئ ومُثقفٍ في الالتزام بالواجبات التالية التي هي أيضًا بمثابة توصيات، والتي يتطلب على كل مسؤول وقارئ ومُثقفٍ تفعيلها:

١- لابد أن يتمثلوا بدايةً قيمة كلمة (اقرأ) التي أول ما نزل به القرآن وأمر بها "اقْرَأْ بِاسْمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ"(العلق، آية: ١) فهمًا وعِلْمًا وتطبيقًا.

٢- الاهتمام بقيمة (القلم وما يسطرون)، وهو ثاني ما نزل من القرآن الكريم "ن والقلمِ وما يَسْطَرُون"(القلم، آية: ١) مع مراعاة المصداقية فيما يُسْطِرون.

٣- تعاهد القراءة، فتكرارُ المقروء وسيلة من وسائل حفظه، ورسوخه في العقل، وهو أسلوب من أساليب الفصاحة والبيان، فالكلام المكرر أوقع في النفوس، وأمتع للأذهان والعقول، وبذلك تصير القراءةُ ملكة.

٤- الدعوة إلى النظر في دلائلِ الوحدانية والإرشاد إلى تحصيل أسباب الإيمان، ودفع غشاوات الكفر، وذلك بالإرشاد إلى النظر والاستدلال بما هو حول الإنسان من أحوال الموجودات، وتصاريفها الدالة على الوحدانية في هذا الكون الفسيح. أي قراءة الكون بالتأمل والتفكير كما تُقْرَأ الكُتب.

٥- عدم التبعية القرائية والعلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية... إلخ للغير محليًا وإقليميًا ودوليًا مع وجود التفرد والإبداع والحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية.

٦- التمتع بحرية الكتابة الصادقة التي ترصد الواقع المجتمعي من جميع أبعاده لِيُقْبِل القارئ عليه ويتمثله.

٧- لابد لأبناء جيلنا الحاضر في مدارسهم ومعاهدهم من أن يجدوا في معلميهم وموجهيهم ما يحببهم ويُغريهم بالقراءة وأن تُعنى مكتبات المدارس والمعاهد والجامعات بجلب الكتب المتنوعة التي تتناول كل ما يَهُم المجتمع في مجالات العلوم والفنون والآداب. ومن ثَمَّ يجد كل قارىء في كِتابه طِلْبته بما يُشبع نهمه ويروي ظمأه ويُعمِّق فكره ويُوسِّع مَداركه.

٨- العنايةُ بإقامة المسابقات المتنوعة بين شباب الأمة وعُدَّةِ الأوطان، حيث يقوم هؤلاء الشباب بإعداد البحوث في مختلف المجالات.. وذلك يؤدي بطبيعة الحال إلى الإقبال

على المراجع والمصادر وقراءة أهم ما فيها من ثمار الأفكار وحصيلة العقول التي يقوم عليها بنيان الأمم وأركان المجتمعات.

٩- على وسائل الإعلام وبخاصة (الإعلام المرئي) أن تفرد مساحة كافية من برامجها للتعريف بأهمية القراءة في حياة المجتمع، وبالتالي تعمل على التعريف بكل جديد من الكتب والأبحاث إضافة ما تكشف عنه من ذخائر التراث.

١٠- عنايةُ الدولةِ بالإشراف على برامج القراءة. وأن تُقدم مزيدًا من الدعم للكتاب، فغذاء العقل والروح لا يقل أهمية عن غذاء الأجسام.

١١- الحثُّ على القراءة يُشجع ويعُين على تحقيق رغبة القارئ والمثقف في إقباله على الكتاب، ويجعله عضوًا جديدًا وجديرًا بأن يلتحق بركب القارئين والمثقفين.

١٢- لا بدَّ من انخراط الأفراد في مجموعات/ منصات/ شبكات قرائية يحفزهم لإظهار رؤى تعاطفية مع ما يقرؤون والانسجام في محتوياته بشكل معمق. ويعنينا هنا القول: إذا كانت المراهنة على القراءة في أشكالها وأنماطها التقليدية، ومحاولة مُحاكمة المجتمعات بسياطها، فمِن الطبيعي جدًا مع التحولات الراهنة أن تفصح المؤشرات عن إربَاك في الحالة القرائية، هناك قارئ النص، والقارئ الإلكتروني، والقارئ السياقي، والقارئ المتخصص في كاتبٍ معين، والقارئ الذي يعتمد مادة مرئية للعودة إلى مادة مكتوبة إن استدعته حاجة الفهم والتدقيق، كلها أنماط آخذة في حجز حيز لها في مشهد الحالة الثقافية، وعليه فإن الفهم الأوسع للحالة القرائية ليس في عزلها المباشر عن الحالة الثقافية، أو الحالة الاجتماعية، وإنما في محاولة فهمها ضمن سياق هاتين الحالتين، ومحاولة إيجاد الروابط المنهجية لفهم الطريقة التي تمارس بها المجتمعات أنماط ثقافتها وإنتاجها الثقافي وعلاقة ذلك بالتحولات التي تجري في محيط المجتمع وأوضاعه.

١٣- يجب علينا أن نبني هويتنا على أسس منهجية عِلمية وموضوعية صحيحة وسليمة.

١٤- علينا أن نقرأ تاريخ اليابان الحديث، كنموذج للإرادة والتقدم والهوية المستقلة، لنتمثل شيئًا من هذا التاريخ بدل أن نُعلِّم في المدارس فوائد الاستعمار وزيوله المُسْتنِدَّة في بلادنا.

١٥- يجب أن نُخطِطَ لخمسمئة عام قادمة فيما نكْتبُ للقُراء كما تفعل الصينُ بدل أن نحتفل بتواريخ «داحس والغبراء».

١٦- علينا أن نَطْبَع عشرة ملايين نسخة شهريًا من كتاب ثقافي جاد تتوافق وميول القُراء وطُموحاتهم المستقبلية نحو إثبات ذاتيتهم دون التبعية.

١٧- يجب أن نَبُثُّ القراءة والكلمة الجادة من خلال وسائل الإعلام الرئيسة والفعالة.

١٨- يجب تكريس القراءة والكتابة كمنتج مؤثر وفعال عن طريق الحد من المجاري الاستهلاكية المبتذلة، والمتمثلة في أزمنة الرياضة اللاهية، وأزمنة العري في القنوات الفضائية الغثة وبرامجها المعوقة.

١٩- ويجب أيضًا السعي الدائم إلى توزيع الكتب الثقافية والفكرية والأدبية بأسعار تشجيعية، وتعويد طلبة المدارس تحديدًا على ضرورة قراءة كتاب أو كتابين شهريًا وإدخالهما في سياق المناهج المفتوحة على الواقع والعلاقات أو المفروضة لبِناء العلاقة مع الآخر. فالتربيةُ الوطنيةُ والثقافيةُ الجادةُ هي التي تُنتِج جيلًا مُنتِجًا واعيًا، جيلًا قادرًا على أن يقف في وجه الأعداء الذين يتربصون بنا من كل جانب، وبالتالي نستطيع أن نسقط - كوننا رقابة ثقافية - أيةَ فضائيات إباحية، أو مجلات هابطة تُوجَّه لاستعمارنا ثقافيًا وحضاريًا.

٢٠- يجب على كلٍ من وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي ووزارة الثقافة اختيار شعار "المجتمعُ يقرأُ ويتثقف" لشهر القراءة في كل عام بهدف دعم وتعزيز دور الآباء في غرس حب القراءة لدى الأبناء وحفزهم للمشاركة وإبراز أهميتها ودورها الكبير في تنمية الطفولة المبكرة وترسيخها ثقافة وعادة مجتمعية دائمة بين أفراد المجتمع وتعزيز دورها كمحرك ومؤشر رئيسي للتماسك والترابط الأسري والتركيز عليها لغرض المتعة والاستكشاف والإلهام لدى الأطفال في المجتمع.

٢١- يجب أن تسعى الأسرةُ لخلق شعور في نفسية الطفل بأنه منتسب إلى عالم الثقافة والفكر وذلك من خلال الإهتمام بآرائه ومقترحاته حول ما يقرأ.

٢٢- أن تهتمَّ كلُ أسرة في المجتمع، بإنشاء مكتبة منزلية، وتعمل جاهدة على تزويدها بالكتب والإصدارات الثقافية المختلفة ومن المهم أن تحتوي المكتبة على نصيب وافر للأطفال.

٢٣- توفير الكتب المُناسِبة للطلاب في المراحل الدراسية المختلفة، والتي تتميز بخاصية الجاذبية في الشكل والسلاسة في الأسلوب.

٢٤- أن تقام معارض للكتاب في المدرسة، بالإضافة إلى إقامة المعارض على مستوى المنطقة والدولة وأن تكون هناك مساحة جيدة من الحرية، حيث يتاح لدور النشر المشاركة في أكبر عدد ممكن من الكتب والاصدارات الثقافية الجديدة.

٢٥- أن تخرج المكتبات إلى الناس، لا أن ننتظر قدومهم!، بمعنى أن تقام ندوات ومحاضرات موسمية لاجتذاب القراء، ويمكن أن يتمثل هذا الخروج عن طريق إقامة المعارض السيارة للكتب وبالخصوص في القرى والريف.

٢٦- تزويد المكتبات (المدرسية، العامة،.. الخ) بالوسائل السمعية والبصرية وخدمة الحاسوب التي تسهم في جذب القراء بتقديم خدمة سريعة لروادها.

٢٧- تنظيم الرحلات المدرسية المنتظمة لمعارض الكتب ومعالم الآثار والحضارة ومواقع الإنتاج.

٢٨- مكافأة كل طالب يأتي بمعلومة جديدة (خارجة) عن الكتاب المقرر.. وكل طالب متميز يكتب مقالة للصحيفة الحائطية (في المدرسة، في البيت، في المسجد،.. إلخ.

٢٩- إصدار طبعاتٍ شعبية للكتاب بأسعار مقبولة يمكن للشباب أن يقتنيها والعمل على توفير الكتاب المناسب لمن يطلبه.

٣٠- ضرورة مشاركة ابناء المجتمع في عمل الدراسات والبحوث والمقالات، التي تسعى وتهدف لإيجاد الحلول في الموضوعات المهم السائدة.

٣١- أن يأخذ الكتاب مكانه الطبيعي المرموق في وسائل الإعلام المختلفة، ويكون هناك تركيز على البرامج الثقافية التي تثير اهتمام المشاهد.

٣٢- أن تُعقَد برامج تلفازية ، يشار فيها بالبنان إلى المؤلفين وكتاباتهم، وبالخصوص المرموقين المخلصين النافعين منهم ليكونوا قدوة وأسوة.

٣٣- دعم الكتب والإصدارات المختلفة التي تعنى بأدب الأطفال.

٣٤-قيام الدولة بتزويد جميع المراكز الحكومية من وزارات ومستشفيات و.. بالإصدارات الثقافية المختلفة، خصوصًا الجرائد اليومية، فالمُراجع للدوائر الحكومية يبقى أحيانًا لفترة طويلة منتظرًا دوره، فلو وفرنا له مجلة أو جريدة في ركن خاص لربما استمتع بقراءتها وقضى على ملل الانتظار.

٣٥ يتطلب من القائمين في المؤسسات التعليمية ضرورة إيجاد الأستاذ أو المعلم المثقف، ولا أقول المتخصص فحسب، إيجاد الأستاذ الجامعي المثقف، والمعلم المدرسي المثقف لأن المثقف يقدم ثقافة، والعكس صحيح، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فالأستاذ المثقف يحث طلابه على الاتصال بأسباب الثقافة والورود إلى منابعها.

٣٦- تفعيل منهج الوحدات الدراسية والمنهج التكنولوجي اللذان يُكسبان المتعلم الاختيار الحر والاعتماد على الذات في العملية التعليمية بدلًا من منهج المواد الدراسية المنفصلة في جميع مراحل التعليم المختلفة.

٣٧- ابتكار وسائل جديدة للتشجيع على القراءة على سبيل المثال، الكتاب التفاعلي، وهو كتاب إلكتروني أقرب إلى كونه تطبيقًا إلكترونيًا، إذ توجد إلى جانب النص صور ومقاطع فيديو وإحصاءات وروابط يمكن الدخول عليها، على نحو يدمج بين القراءة بشكلها التقليدي والتقنيات الحديثة التي عادة ما تجذب صغار السن".

٣٨- يجب مراعاة الجانب النفسي.. حيث الدواعي الداخلية والمنطلقات النفسية عند الإنسان هي التي تدفعه إلى الأمام، أو تعيقه. فكلما صرخ في داخل النفس داعي التقدم والتطلع والطموح تراه يغوص ويتعمق في بحر المعرفة بالبحث والقراءة.. وكلما شعر بالجوع الثقافي والحاجة إلى المعلومات جال في بساتين الكتب يقتطف منها ما يشاء. يقول الخواجه الطوسي في رسالته آداب المتعلمين: كان محمد بن الحسن (يعني الشيخ الطوس) إذا سهر الليالي وانحلت فه المشكلات يقول: أين ابناء الملوك من هذه اللذات؟. وما من عالِم أو زعيم أو أديب وصل إلى ما وصل إليه إلا وكان قارئًا باحثًا يأنس بالكتاب، وقديمًا قال بعض الحكماء «الكتاب جليس بلا مؤونة». قال الجاحظ في الكتاب: (نعم الأنيس ساعة الوحدة). فإذا انعدم الطموح ومات التطلع في النفوس، وحل مكانه حب الراحة والكسل فعند ذلك لن تجد مجتمعًا قارئًا، بل ولا حتى فردًا واحدًا يهتم بالقراءة.

٣٩- يجب مراعاة الجانب البيئي الاجتماعي. فالبيئةُ ليست ضرورة للنبات والزرع والكائنات الحية فقط، بل هي ضرورة ملحة لمن أراد أن يصنع جيلًا قارئًا، فعدم

توفير المُناخ المساعد للقراءة عند الطالب في الأسرة والمجتمع، يدفع هذا المجموع للبحث عن مُناخ بديل ربما كان من الخطورة بمكانٍ حيث يشكل قناعات ثقافية أو سلوكية من الصعب تغييرها. فعاملُ المناخ البيئي له دور كبير ومؤثر حتى على الجانب النفسي، فإذا كان المحيط الذي يحيط بالأبناء متأثرًا بالجو العلمي فإن التركيبة النفسية للأبناء تتأثر بذلك، كما أن المحيط الاجتماعي الذي يزخر بالزيارات والمحاورات والمحادثات والمواقف والصداقات له تأثيره أيضًا، فالمدرسةُ جزء من المُناخ والمنزل جزء من المُناخ.

٤٠- وأخيرًا لا بد أن يخرجَ العلماءُ والقُراء والمُثقفون من كهوفهم ومحابسهم ليقرؤوا الطبيعةَ والواقعَ الإنساني قراءةً جديدةً من خلال الملاحظة والتأملِ والتفكير وليس من خلال نظريات السابقين. وأن يتواصلوا مع رواد مواقع التواصل الاجتماعي ففي ظل غياب التواصل ، فإن المستقبل ينبئ بتراجع القراءة وبتراجع الذوق خاصة في ظل استهلاك الشباب المحتويات السطحية التي تهيمن عليهم وتبعدهم عن الحقيقة التي خُلِقوا من أجلها وهي عِمارة الأرض وفق منهج الله.

المراجع

أولًا- المراجع العربية:

القرآنُ الكريمُ.

السُّنَّةُ الشريفة.

أبو السعود، "إرشاد العقل السليم باختصار"، ١٤٤/٩.
أبو غدة، "قيمة الزمن عند العلماء"، ص ٦٦.
الأصفهاني، الراغب. " المفردات"، ص ١٦٧.
ابن جماعة،بدر الدين."تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم"، ص ٧.
ابن حبان، أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب التوبة، ٣٨٧/٢، رقم ٦٢٠.
ابن عاشور، "التحرير والتنوير".
ابن فارس،، "مقاييس اللُّغة"، ٧٨/٥.
ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤٣٧/٨.
ابن منظور، "لسان العرب"، ٥١/١٢، والزبيدي، "تاج العروس"، ٣٠٧/١.
ابن منظور وآخرون، "لسان العرب"، ١٢٨/١، ومرتضى الزبيدي، "تاج العروس"، ص ٣٧٠-٣٧١، و العسكري، "الفروق اللغوية"، ص١٤٠-١٤١، و والفيروزآبادي، "بصائر ذوي التمييز"، ٢٦٢/٤-٢٦٦.
البغدادي ،الخطيب."تقييد العلم".
الجوزية، ابن القيم."مدارج السالكين" ٥٠/٣.
الجوهري وآخرون، "الصحاح"، ٩٢/١، ، و ابن فارس، "مقاييس اللغة" ٧٨/٥،و ابن منظور، "لسان العرب"، ٥٠/١٢، والزبيدي، "تاج العروس"، ٣٠٦/١.
الحسينية، مجلة الروضة. (٢٠٢١)، "العزوف عن القراءة في العالم العربي ... أسباب وحلول"، ١٧ أبريل، تحقيق: سلام الطائي وعماد بعو.
https://imhussain.com/arabic/section

الحمداني، مبارك.(٢٠٢٢)، "الحالة القرائية .. حالة اجتماعية" ٢٦ فبراير.

https://www.omandaily.om/%D8%A3A9

الخطيب، أحمد.(٢٠٢٠)، " **كيف تأثرت عادات القراء في العالم العربي في ظل انتشار وسائل التواصل الحديثة"؟**-https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-51372769
الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢١٨/٣٢.
الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ٩/٣، من بلاغة القرآن، أحمد البيلي ص ١١٢.
الزمخشري، "الكشاف"، ٧٧٦/٤٤.
الطبري، "جامع البيان"، ١٢٠/٢٠.
الطبري وآخران، "جامع البيان"، ٣٧١/٢٤، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٢٤٢/٥، و ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣٧٨/٨.
العسقلاني، ابن حجر."الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، ١٣٨/٥.
القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن".
الكفوي، "الكليات" ص ٧٠٣.

الكلمة، مجلة.(٢٩٩٨م/ ١٤١٩هـ)، "لماذا نحن مجتمعات لا تقرأ"، العدد ٢١، السنة الخامسة خريف، إعداد: عقيل المسكين عبد العزيز آل عبد العال، الفلاح للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت.http://kalema.net/home/article/view/362

المراغي، "تفسير المراغي"، ١٩٩/٣٠.
النصار ،خالد."الإضاءة في أهمية الكتابة والقراءة"، ص ٦.
بنت الشاطئ، "التفسير البياني"، ١٤/٢.
سالم،محمد عدنان. "القراءة أولًا"، ص ١٦.

مبادرات تخدم الكتاب والكاتب والقارئ، شهر القراءة في الإمارات.(٢٠٢٢)، "فعاليات ترسخ القراءة كأسلوب حياة لنحت شخصية الإنسان"، نورة بنت محمد الكعبي.https://alarab.news/%D8%B4%D9%87%D8

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

↑ "UNESCO says Arabs read for just 6 minutes a year. So why will more than 4 million Arabs be heading for MENA book fairs next week?", thenewpublishingstandard, Retrieved 30/3/2022. Edited.